٤- اتقوا النار ولو بشق تمرة

- مقدمة
- فضل الصدقة
- صدقة الفقير
- لا تحرم نفسك من هذا الفضل
- الصدقة شفاء
- الصدقة بين الإبداء والإخفاء
- الخطبة الثانية

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. [البقرة: ٢٦١، ٢٦٢].

وهكذا المتصدقون وصفهم ربنا عز وجل بأنهم من أولياء الله الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. - وقال تعالى في صفات المؤمنين:

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البَقَرَة: ٣].

قال العلماء: الحمد لله أن ربنا عز وجل قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ولم يقل «**وما رزقناهم ينفقون**» أي ينفقون بعض الذي رزقناهم وليس كل الذي رزقناهم لأنهم لو أمرهم الله تعالى بإخراج كل ما رزقهم لن يفعلوا.

ولذلك يقول تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ [محمد: ٣٦، ٣٧].

فيحفكم: يجهدكم.

- إذا فالمتصدق من أهل الإيمان والصدقة هي دليل إيمانه، كما يقول النبي ﷺ: «**والصدقة برهان**». مسلم.

أي دليل على الإيمان.

فضل الصدقة:

- الصدقة وقاية من نار جهنم . .

يقول ﷺ:

«فاتقوا النار ولو بشق تمرة». متفق عليه.

- الصدقة تطفئ نار الخطيئة . .

يقول ﷺ:

«والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار». مقدمة صحيح الترغيب.

- الصدقة تطفئ حر شمس يوم القيامة، حينما تغلي الأدمغة . .

يقول ﷺ:

«كل امرئ في ظل صدقته حتى يُقضى بين الناس». صحيح رواه أحمد والحاكم وابن حبان

لذلك عد النبي ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله . .

«ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه . . .».

البخارى ومسلم.

وقد سأل رجل الإمام على كرم الله وجهه: يا أمير المؤمنين، هل أنا من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة؟ . .

فقال الإمام على: الجواب عندك أنت لا عندي . . . انظر إذا دخل عليك من يعطيك . . ودخل عليك من يطلب منك، بأيهما ترحب وأيها أحب إليك ؟ . . .

إن كنت تحب من يعطيك فأنت من أهل الدنيا . . وإن كنت تحب من يأخذ منك فأنت من أهل الآخرة . .

لأن الذي يعطيك يزيدك في دنياك والذي يأخذ منك يحمل حسناتك إلى الآخرة . .

﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧].

صدقة الفقير :

فإن كان للصدقة كل هذا الفضل، فكيف يدرك الفقير هذا الأجر؟.

- قال رسول الله ﷺ:

«**لا يغرس مسلم غرسًا، ولا يزرع زرعًا، فيأكل منه إنسان أو دابة أو شيء، إلا كانت له صدقة**». مسلم.

- ومن لا يستطيع أن يفعل هذا فقد سهَّل له النبي ﷺ طريقًا آخر للصدقة . .

جاء رجل ليصلى بالمسجد، والناس قد صلوا العصر . . .

فقال رسول الله ﷺ: «**من يتصدق على هذا فيصلى معه؟**».

- ومن لم تأته هذه الفرصة فقد فتح له النبي ﷺ طريقًا آخر . .

قال رسول الله ﷺ:

«**يصبح على كل سُلامَى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة . . وكل تحميدة صدقة . . وكل تهليلة صدقة . . وكل تكبيرة صدقة . . وأمْرٌ بالمعروف صدقة، ونَهْيٌ عن المنكر صدقة**». مسلم، والسلامى: هى فقرة العظم.

وفى رواية:

«**وتبسمك في وجه أخيك صدقة . . وإماطة العظم والشوك عن الطريق صدقة . . وإرشادك للرجل في أرض الضلالة صدقة، وبصرك للرجل ردىء البصر لك صدقة**». الترمذى وصحيح ابن حبان.

فلا تحرم نفسك من هذا الفضل العظيم...

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟**».

قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه.

قال: «**فإن ماله ما قدَّم . . ومال وارثه ما أخَّر**». البخاري.

والورثة لن ينفعوك يوم الحساب . .

فالورثة يقتسمون مالك، وينصرف كل منهم إلى حال سبيله ومعاشه ودنياه. .

تمر أقاربى جنبات قبرى كأن أقاربى لا يعرفونى

وذوو الميراث يقتسمون مالى ولا يألون إن جحدوا ديونى

وقد أخـذوا سهامهم وعاشوا فيا لله ما أسـرع مـا نسونى

- أخى الحبيب . . يقول لك رب العزة قبل فوات الأوان:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾. [البقرة: ٢٦٧، ٢٦٨].

- وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا». متفق عليه.

أي: تلفًا حسيًّا كهلاكه . . . ومعنويًّا بنزع بركته. وقال تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٠].

الصدقة شفاء:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لمَّا خلق الله الخلق جعلت السماء تميد وتكفأ، فأرساها بالجبال فاستقرت، فتعجبت الملائكة من شدة الجبال، فقالت: يا رب هل خلقت خلقًا أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد.

قالوا: يا رب فهل خلقت خلقًا أشد من الحديد؟ قال: نعم النار.

قالوا: يا رب فهل خلقت خلقًا أشد من النار؟ قال: نعم الماء.

قالوا: يا رب فهل خلقت خلقًا أشد من الماء؟ قال: نعم الريح.

قالوا: يا رب فهل خلقت خلقًا أشد من الريح؟.

قال: نعم، ابن آدم إذا تصدق بصدقة بيمينه فأخفاها عن شماله».

حسن رواه أحمد.

- إذا فالصدقة أشد من الجبال والنار والحديد والماء والريح والبلاء والمرض وكل شيء . . .

لذلك لا تتعجب إذا قال رسول الله ﷺ: «**داووا مرضاكم بالصدقة**».

أبو داود فى المراسيل.

قال ابن شقيق:

(سمعت ابن المبارك، وقد سأله رجل عن قرحة خرجت فى ركبته منذ سبع سنين، وقد عالجها بأنواع العلاج، وسأل الأطباء فلم ينتفع . . فقال له ابن المبارك:

اذهب فاحفر بئرًا فى مكان فيه حاجة إلى الماء، فإنى أرجو أن ينبع هناك عين، ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرئ). صحيح الترغيب.

- وهذه حادثة يرويها رجل نثق فى صدقه، وهو إمام مسجد الرضوان بحلب السورية، حيث يقول:

فى بداية زواجى أكرمنا الله بطفلنا الأول، ففرحنا به فرحًا شديدًا. . لكن شاء الله تعالى أن يصاب هذا الطفل بمرض عجز عنه الطب، وبدأت تسوء حالة الطفل، وتسوء حالنا نحن، حزنًا على فلذة كبدنا . .

ودلنا أهل الخير على طبيب ذى خبرة وشهرة فذهبتُ إليه بالطفل، وهو محموم بحمى تأكل جسده . . فقال لنا الطبيب: إذا لم تنزل حرارة الطفل هذه الليلة فسيفارق الحياة.

ونزلت كلماته علينا كالصاعقة، وانهارت أمه، وأخذت أهدئها، وهى تحتضن ابننا وتبكى بكاءً مريرًا . .

ونزلتُ إلى الشارع أمشى هائمًا على وجهى، لا أدرى أين أذهب؟ وماذا أفعل؟ . . ولا أدرى لماذا قفز إلى ذهنى فى تلك اللحظة قول الحبيب المصطفى ﷺ: «**داووا مرضاكم بالصدقة**». أبو داود فى المراسيل.

ولكن أين أجد في هذه الساعة المتأخرة من أتصدق عليه؟.

وبينما أنا كذلك، إذا بقطة تموء في الليل الأسود من الجوع، وتذكرت عندما سأل رجل النبي ﷺ يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟ فقال ﷺ:

«**فى كل كبد رطبة أجر**». البخارى ومسلم.

فدخلت منزلي وأحضرت قطعة لحم وما تيسر من الطعام ووضعته للقطة، وراقبتها وهى تأكل، وكأنها لم تأكل من زمن، ثم عدت إلى بيتي، وأغلقتُ البابَ. . وإذا بزوجتي تناديني: تعال إلَّ سريعًا . . فذهبت إليها فوجدت وجهها قد تغير وبان عليه البِشْرُ، فسألتها عما تريد . .

قالت: بعدما خرجت أخذتني غفوة فنمت وأنا جالسة، فرأيت رؤيا عجيبة. .

لقد رأيتني محتضنة ابني، وإذا بطير أسود كبير يهوى من السماء لينقض على طفلى لينزعه منى، وأنا خائفة عليه وأضمه بشدة، وإذا بقط يأتى مسرعًا ويهجم على الطير ويدفعه، ويعاركه عراكا شديدًا، حتى طار الطير بعيدًا، وصحوت على صوتك وأنت تغلق الباب . .

يقول الشيخ: فتبسمت واستبشرت خيرًا، واندهشت زوجتي من تبسمي، وهرعنا إلى الطفل وكأننا نتسابق، من يصل إليه أولًا، وإذا بالطفل قد فتح عينيه وزالت عنه الحمى، ووالله الذى لا إله إلا هو، في صباح اليوم التالي كان الطفل يلعب مع الأطفال فى الشارع.

وصدقت يا سيدي يا رسول الله:

«**صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والآفات، والمهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة**». صحيح رواه الحاكم من حديث أنس ﷺ.

الصدقة بين الإبداء والإخفاء:

يقول الله تعالى:

﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٧١]

فكيف نوفق بين إباحة الإبداء وخيرية الإخفاء؟.

قال العلماء: إن إبداء الصدقات جاء مطلقًا عن قيد الجهة، وإخفاءها جاء مقيدا بصنف الفقراء.

أي أن الصدقات لو كانت في الأوجه العامة كالجهاد أو بناء المساجد أو المستشفيات فلا مانع من إبدائها، بل يكون مستحبًّا للتحفيز والتشجيع والحث عليها . . أما إن كانت إلى فقير فإن اخفاءها هو المقصود بقول الله تعالى: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

- لذلك لما عزم النبي ﷺ على غزوة تبوك، كان المسلمون في جدب شديد . .

فصعد النبي ﷺ على المنبر وحث المسلمين على الإنفاق، فوقف عثمان رضي الله عنه وقال: علَّ بمائة بعير بأحلاسها ورحالها يا رسول الله.

فنزل النبي ﷺ درجة وحث الناس على الصدقة، فوقف عثمان مرة ثانية وقال: علَّ مائة بعير أخرى يا رسول الله.

فتهلل وجه النبي ﷺ ونزل درجة وحث الناس على الصدقة، فأسرع عثمان رضي الله عنه إلى بيته وجاء مع النوق بذهب وفضة ووضعها بين يدي رسول الله ﷺ.

فقال النبي ﷺ: «**غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت، وما أخفيت وما أبديت، وما هو كائن إلى يوم القيامة**».

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ومذكور في أكثر من موضع بكتب السير.

- فأنفق يا أخي وقدِّم لنفسك إلى آخرتك . . إلى يوم الموقف العظيم . .

فعن عدى بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم . . فينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدَّم . . فينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**». متفق عليه.

الخطبة الثانية:

الأخوة الأحباب . . من أحب شيئًا أو أحدًا أحبَّ ألا يفارقه، وأن يبقى معه طويلا . .

فإن كنت تحب مالك في الدنيا فاحرص على أن تأخذه معك إلى دار الخلود . .

هذا رسول الله ﷺ لما أُهدِيَت إليه شاة قال للسيدة عائشة رضي الله عنها: «**تصدقي بلحمها**».

فتصدقت بها كلها وأبقت كتفها لأن رسول الله ﷺ يحبه . .

وعندما عاد سألها: «**ماذا فعلت بلحم الشاة**» قالت: تصدقت بها كلها ولم يبق إلا كتفها.

فقال ﷺ: «**بقى لكم كلها إلا كتفها**».

وفى ذلك يقول تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾. [النّحل: ٩٦].

- الأخوة الأحباب . . نريد أن نقدم لأنفسنا، وأن نبقى من مالنا لآخرتنا . .

يقول رسول الله ﷺ:

«**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**». ابن ماجه.

واليوم أمامنا فرصة عظيمة للصدقة الجارية، . . بناء مسجد . . مستشفى . . مكتب تحفيظ قرآن . . محطة تنقية مياه . . حضانات أطفال . .

- هل تعلم فضل أن تشترك في بناء مسجد؟.

- قال ﷺ:

«**من بنى مسجدًا يبتغى به وجه الله، بنى الله له بيتًا في الجنة**». متفق عليه.

- وقال ﷺ:

«**من بنى مسجدًا ولو كمفحص قطاة أو أصغر، بنى الله له بيتا في الجنة**».

صحيح الترغيب من حديث جابر.

- هل تعلم فضل أن تشارك في محطة تنقية مياه يشرب منها الناس ماءً نظيفًا؟.

عن سعد بن عبادة أنه قال: يا رسول الله، إن أم سعد ماتت، فأي الصدقة أفضل؟.

قال: «**الماء**». سنن أبي داود حسن.

- وقال ﷺ:

«**أفضل الصدقة سقى الماء**». أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه صحيح الجامع.

- وقال ﷺ:

«أيما مسلم كسا مسلمًا ثوبًا على عرى كساه الله تعالى من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلمًا على جوع أطعمه الله تعالى يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلمًا على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم». حسن رواه أحمد وأبو داود.

- يقول رسول الله ﷺ منبهًا ومرشدًا وهاديًا ومبشرًا ونذيرًا ومتعجبا:

«يقول ابن آدم مالي .. مالي .. وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت .. ولبست فأبليت .. أو تصدقت فأمضيت». صحيح مسلم وأحمد والترمذي.

- الإخوة الأحباب ..

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٨].

إن الله تعالى لما خلق الجنة .. وشق أنهارها .. وأهدك ثمارها .. وزخرفها اتكأ فيها وقال:

«وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل».

فاللهم اجعلنا من أهل الصدقة والبر وتقبلها منا.